



الأم فجيا شعر بدر شاكر السياب ونازك الملائكة

م. م. خلود عباس حسين

University of Al-Qadisiyah College of Education

تاريخ تقديم الطلب: ٢٠١٦/١٠/١٦

قبول النشر: ٢٠١٦/١١/٢

المقدمة

عرفت المرأة منذ القدم ملهمه للأدباء وقد نظم الشعراء القصائد التي يتغنى بها بجمال المرأة وما تملكته من خصال الرقة والحنان والعاطفة وتمثل الأم المدرسة الأولى التي ينهل الإنسان من نبعها أبجدية الحياة منذ أن يولد في هذه الحياة وإلام أجمل قصيدة تغنى بها الشعراء وللشعراء بصمات مهمة في تعبيرهم عن حبهم وتقديسهم للأمهات والأم هي أعظم شيء في الوجود وهي كلمة تحمل كتلة لا حدود لها من معاني الحب والحنان والعطف وقد تناولت في هذه البحث (الأم في شعر بدر شاكر السياب ونازك الملائكة) وقد تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث. كان المبحث الأول: الأم في بيئة الشعاعين (السياب والملائكة) أما المبحث الثاني: الرمزية

في ذكر الأم. فيما كان المبحث الثالث: الأم معادلاً موضوعياً للموت . وتظل الأم المرفأ الذي يشتاقه الجميع والتي تؤثر غيرها على كل ما تحتاجه وتتمناه كي تجد سعادة أسرتها وراحتهم ومهما قلنا في حق الأم يبقى الكلام ناقص عن هذه الأم وهذه الكلمة العظيمة التي لا تفارق شفاه الجميع .

المبحث الأول

الأم في بيئة الشعارين

(السياب ، والملائكة)

من المقولات الشائعة (إن الشاعر ابن بيئته) وبما أن كل من الشعارين (السياب ونازك الملائكة) ينتميان إلى بيئة إسلامية واحدة ، لذا يحسن أن نبدأ الحديث عن (الأم) في البيئة الإسلامية والعربية .

لاشك أن الإسلام قد رفع مكانة المرأة بصورة عامة وكانت نظرته إليهما إنسانية ، حيث أعطاهما مكاناً اجتماعياً كريماً في مختلف مراحل حياتها وكافة علاقتها الاجتماعية^(١) إذ كرم الدين الإسلامي مقام المرأة كزوجة ، قال تعالى { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً }^(٢) ، وكرم مقامها أما بقوله تعالى { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا }^(٣) . والأم في كلام العرب : أصل كل شيء^(٤) .

والأم هي المعين الذي تتفجر من أحضانه الأجيال ، وهي الطاقة التي تمد الحياة بعناصر الديمومة والبقاء ، ولولاها لم تتكون الأسرة ، ولم تبقى المثل والأخلاق السامية ، ولولاها لقدت المجتمعات عناصرها الضرورية في التكون والتكوين ، لآل الوضع

إلى حال يصعب علينا تصوره ، فهي ينبوع الحب النزيه المجرد من شوائب الأنانية ، والدوافع النفعية ، وهي التضحية والإيثار والحنان النقي ، إذ تغرس في أبنائها كل السجايا الراقية ، وتواصل أيامها ولياليها كي تمنحهم الكيان بعون من الله وتوفيقه ، لذلك نرى الشعراء خصوها بثنائهم^(٥) أكثر إثارة لخلق الشاعر الناجح من حضورها - باللموس المعيش - فالحرمان من المرأة من دواعي الاستثارة لدى الشاعر لكي يعبر عن مفقودة^(٦) .

لقد حظيت صورة المرأة - وخصوصاً (الأم) - باهتمام كبير من لدن الشعراء منذ عصر - ما قبل الإسلام وامتداداً إلى صدر الإسلام وما تلاه من العصور الإسلامية التالية ، ومن صور ذلك الاهتمام أنهم حينما عمدوا إلى رسم صورة المرأة الحبيبة القريبة الى نفوسهم ، وأذواقهم ، حاولوا تشبيهها بالظبية المفضل أو المهابة ، وغيرها من الحيوانات الأخرى الحاملة لصفات الأمومة^(٧) .

والملاحظ أن الصورة المثالية للمرأة عند الشعراء ، هي الصورة المتصلة بمعاني الخصب والمرتبطة جوهرياً بوظيفتها الامومية ، ومن خلال ذلك يمكننا القول أن المرأة الأم أو صورتها الامومية كانت راسخة في خيال

حيث نجد صدى صرخاته يجوب الآفاق ،
فيسأل السياب أمه^(٩) .

أما رن الصدى في قبرك المنهار ، من دهليز
مستشفى ،

صداي أصبح في غيبوبة التخدير ، انتفض

على ومض المشارط حين سفت من دمي سفا

ومن لحمي ! أما رنّ الصدى في قبرك المنهار؟

وكم ناديت في أيام شهدي أو لياليه :

أيا أمّي ، تعالي فالسي ساقّي واشفيني

وفي ضوء ذلك يمكننا القول إن "

أقوى صور الماضي يقظة في نفسه هي صورة

الأم ، وكان للمرض اثر كبير في مضاعفة

الرابطة ، وتضخيم الحاجة إليها"^(١٠) ، وهذا ما

لم يتوفر لنازك الملائكة ، ولم يبرز في أشعارها .

ويبدو أن هناك عوامل خاصة جعلت

من الشاعر بدر شاكر السياب يتحدث عن الأم

بصورة أعمق وأدق وأكثر تنوعاً في العرض من

الشاعرة نازك الملائكة ، فهو يعرض لنا في

شعره قضية فقدتها وآثارها وعمق مأساتها

حتى يحس القارئ بذلك جلياً ، ومن تلك

الأسباب والعوامل المثيرة والمؤثرة التي يمكن

قراءتها من سيرة الشاعر ، انه كان في طفولته

شديد التعلق بأمه فلما خطفها الموت ، اثر ذلك

فيه تأثيراً كبيراً ، وحين كان يسأل عنها كانوا

يقولون له " ستعود بغد غد " وراح الطفل

الشعراء منذ القدم ، لما تحمله من صفات
الخصب والانبعاث فتناولوها في نصوصهم
وبرزوها في صورهم^(٨) .

والأنثى في البيئة العربية شديدة

الالتصاق بأمها ، ويبدو ان السبب في ذلك هو

كثرة غياب الرجل عن البيت كونه المسؤول

عن توفير ما تحتاج إليه الأسرة وهو ملزم بذلك

دينياً واجتماعياً وهذا ما يحتم عليه الخروج من

البيت وتبقى الأم مع بناتها وأطفالها الصغار

ترعاهم بكل لطف وحنان ، وتكون محمل

همومهم وآلامهم وآمالهم ، والأنثى الشاعرة

تتعایش مع تلك الأجواء بشاعرية ، وتعبر عنها

بصدق فني وهذا ما نلمسه عند نازك الملائكة ،

كما امتازت بأنها كانت تربطها علاقة أخرى

بأمها وهي علاقة الفن فكل من الأم وابنتها

شاعرتان ، إذ كانت (أم نزار) تقرأ وتنقد

وتهذب وتشجع شعر ابنتها الشابة نازك ، وهذا

ما اوجد علاقة من نوع خاص تربطها بأمها ،

مما افتقر إليه السياب الذي عاش طفولته

وشبابه فاقداً للام وحنانها ، ولم تربطه بها إلا

علاقة الفاقد الحزين بأم غيبت تحت التراب

فغدى لا يرى لها شخصاً ولا يسمع لها صوتاً

إلا بعض ذكريات طفولته معها ، التي عبر

عنها في قصائد متعددة وفي مراحل حياته

المختلفة حتى آخر أيام عمره في المستشفى ،

في حين لم تفقد الشاعرة نازك الملائكة أمها إلا بعد ان قضت معها ردها طويلاً من الزمن وبلغت مراحل متقدمة من عمر الشباب فقد وضعها الموت وجهاً لوجه أمام حزن فقد أمها وما دامت نازك قد استنفذت كل وسيلة لإدراك كنه الموت^(١٤) فلم يكن رد فعلها بإزاء ذلك غير الاستسلام له ، بعد أن أدركت حتمية فناء الإنسان ، وانه لا سبيل للخلود .

لقد تعرضت نازك لحادثة وصفتها بالرهيبة ، هزت كيائها وذلك عام ١٩٥٣ ، إذ مرضت والدتها مرضاً شديداً ، تقول نازك قبل ذلك بأسبوع : " حلمت أني أسير في شوارع لندن ، وأحاول شراء تابوت وابحث في لهفة ورعب فلا أجد من يعيني تابوتاً ، ولم أقص حلمي هذا على احد في البيت ، وسافرت بأمي الحبيبة التي دخلت غرفة العمليات ، وخرجت منها محمولة على نقالة حيث ادعوها مع الموتى بالمستشفى ريثما تتم إجراءات الدفن المعقدة ، وعدت إلى العراق بعد أسبوعين ذابلة حزينة مهزوزة النفس فقد كنت أحب أُمي حباً شديداً^(١٥) .

لذا فقد كتبت نازك بعد وفاة أمها قصائد أسمتها " ثلاث مرآث لأُمي"^(١٦) ، وكان عمر نازك الملائكة ثلاثين عاماً عند وفاة أمها حيث ولدت الشاعرة عام ١٩٢٣ م

الذي فقد الحزن الدافئ يبحث عنه ولم يكن عسيراً عليه ان يجده في شخص جدته لأبيه (أمينة)^(١١) ، حيث يقول السياب في قصيدته أنشودة المطر :

كان طفلاً بات يهذي قبل أن ينام
بأن أمه – التي أفاق منذ عام
فلم يجدها ، ثم حين لجح في السؤال
قالوا له : " بعد غد تعود"
لابد أن تعود

وان تهامس الرفاق أنها هناك
في جانب التل تنام نومة اللحود
تسف من ترابها وتشرب المطر^(١٢) .

ويرى بعض الباحثين أن الضرر الناتج عن الحرمان من الأم يكون ما بين الثالثة والخامسة من عمر الطفل ، وخلال هذه الفترة لا يعيش الأطفال في الحاضر تماماً وبالتالي يستطيعون إلى حد ما تصور الوقت الذي ستعود فيه الأم ، وعند الحرمان من الأم يتأخر دائماً نمو الطفل في أكثر من جانب ومن ابرز العوامل التي تؤثر في هذا الحرمان : السن الذي يفقد فيه الطفل رعاية أمه ، وطول مدة الحرمان ومدى انعدام رعاية الأم ، ومن الآثار المباشرة أي القرية المدى للحرمان من الأم هو الإلحاح المتزايد في طلب الأم أو بديلتها^(١٣) .

هذا الرمز في صورته الرئيسية (تموز ، بويب ، المطر) مختلف هو اجس السياب من موت الأم والحنين إليها حتى الشوق إلى التجدد والبعث ورغبة الفناء في الأرض الوطن ، والأرض المرأة الأم ، ولهذا الدائرة الرمزية صيغ أخرى منها جيكور القرية و جيكور الأم^(١٩) ، جيكور الأرض ، جيكور الحلم ، والحنين إلى جيكور حين إلى حضن إلام^(٢٠) .

ويستوي في شعر السياب رمزا (الأم ، والأرض) فتغدو صورة أمه معادلة لصورة قرينته جيكور ، لان جسد أمه المدفون ذاب في تراب جيكور وأصبح جزءا منه^(٢١) ، يقول في قصيدة أفياء جيكور :

جيكور لمي عظامي ، وانفضي كفني
من طينه واغسلي بالجدول الجاري
قلبي الذي كان شباكاً على النار

.....

أفياء نبع سال في بالي

ابل منها صدى روعي ...

في ظلها اشتهى اللقياء ، واحلم بالأسفار
والريح

والبحر تقدح أحداق الكواسج في صاحبه

العالي

كأنها كسر من انجم سقطت

وكانت وفاة أمها سنة ١٩٥٣م بخلاف السياب حيث فقدتها وله من العمر أربعة أعوام ، أو ستة ، إذ كانت ولادته سنة ١٩٢٦ ، أو ١٩٢٧م^(١٧) .

لقد تحطمت فجأة سعادة طفولة السياب إذ توفيت والدته عام ١٩٣٢ بين الأم المخاض والولادة ، وكانت في الثالثة والعشرين من عمرها حين ماتت عن أبنائها الثلاثة ، ولم يكن بدر حينها يفهم معنى الموت بعد ، لكنه شعر بألم غامض كان يوقظه ليلاً فيسأل عن امه ، فيقال له انها : " بعد غد تعود " ، كما يذكر ذلك في شعره^(١٨) .

المبحث الثاني

الرمزية في ذكر الأم

نجد هذا كثر حضوراً في شعر السياب ، وبرموز مختلفة ، وتجلت أصالة شاعرية السياب في ما يسمى (وحدة الخيال) فاقد كشف حدسه الشعري المحور الذي تلتقي حوله الرموز ، حيث تتمثل وحدة الخيال عند الخيال عند السياب في دوائر الرمز المتكاملة ، إذ نرى رمز الماء في قصيدته (النهر والموت) من مجموعة ديوان انشودة المطر ، وحيث يحتسب رمزاً إشعاعياً يبدأ بمحور ذاتي ويتنقل إلى مستوى اجتماعي ، ذلك أن الماء هو الأم أو الرحم ومن ثم ولادة انبعاث ، ولقد استوعب

أن وفاة والدته ومدى تعلقه بها
وحرمانه منها قد جسدها من خلال الصور
الشعرية التي رسخ بها تلك القضية ، وبأنه
إنسان خيالي يبحث عن الصور المثالية .

والشاعر ظل يؤكد قضية حرمانه من
امه وانه لن يجد من يعوضه ذلك الحب والحنان
فقضى حياته يبحث عن امرأة مثالية تعوضه
عن حزن امه . حيث يقول : " فقدت امي
وما زلت طفلاً صغيراً فنشأت محروماً من
عطف المرأة وحنانها ، وكانت حياتي وما تزال
كلها بحثاً عن تسد هذا الفراغ ، وكان عمري
انتظاراً للمرأة المنشودة ، وكان حلمي في الحياة
ان يكون لي بيت اجدي فيه الراحة
والطمأنينة" (٢٥) .

كما كان يفتقر الى علاقة راسخة مع ابيه
حيث يقول :

أبي منه جردتني النساء

وامي طواها الردى المعجل (٢٦)

والسياب في شعره يكشف عن مدى
تعلقه بامه لدرجة ان لديه اشعاراً تدور حول
مناداة بدر لامه وهي في قبرها ، حيث يسهر
الليل كله في انتظار الصوت الاليف ولكن
الباب ما قرعته غير الريح في الليل العميق ..
فيستجدي صوت الام المتوارية تحت الرغام ..
يامل لو لم تمت لملاً صوتها عليه الحياة ... حيث

كأنها سرج الموتى تقلبها أيدي العرائس من
حال

إلى حال

أفياء جيكور اهواها

كأنها انسرحت من قبرها البالي

من قبر امي التي صارت اضالعتها التعبي
وعيناها

من ارض جيكور .. ترعاني وارعاها" (٢٣)

وهنا يبين السياب مدى علاقته بارض
جيكور وهي متأتية من محبته وحنينه الى امه .
ولابد من الإشارة الى أن وصف المرأة
أو ذكرها في الشعر إن كانت رمزاً أو حقيقة
يعني التمرد من قبل الشاعر على واقعه بصورة
وأشكاله كافة ، ولا شك في أن النتيجة التي
يطرح بها الشاعر ذلك العاشق المتمسك
بمعشوقته وحببته وأمه هو دليل على وعيه
الفني وطموحه ، فذكر الأم والحببية في قصائد
الشاعر تعبير عن الحنين الجارف الذي يعيشه
مع ذاته (٢٣) .

كان بدر يعاني منذ طفولته من فقدان (المرأة)
اذ إن المرأة المثالية عند بدر هي الام ،
وامه بالذات فلم تتسع حياة بدر وأمه لان يكبر
وتكبر ، فلم تبق منها غير صورة الامومة
الرمزية تحيط بها هالة مقدسة تقابلها عند
الشاعر صور الحبيبات (٢٤) .

جيكور ماذا؟ انمشي نحن في الزمن

ام انه الماشي

ونحن فهي وقوف؟

أي اوله

واين اخره؟

هل مر اطوله؟

ام مر اقصره الممتد في الشجن^(٢٩)؟

ويحاول السياب ان يجعل امه رمزاً في

مختلف الصور فهي القمر الذي يضىء الظلام

ويصور غيابها بالنخيل في وقت الغروب الذي

يستوحش منه الاطفال سيما حين يتذكرون

قصص الاشباح الخرافية التي تحطف الاطفال ا

لذين لا يرجعون الى بيوتهم ، اذ يقول :

وجه امي في الظلام

وصوتها يتزلقان مع الرؤى حتى أنام

وهي النخيل أخاف منه اذا ادلم مع الغروب

فاكتظ بالاشباح تحطف كل طفل لايؤوب

من الدروب^(٣٠)

ومن الرموز التي عبر بها السياب عن

الام انه جعلها رمزاً للثورة والجهاد ، وانها

ملهمة الابناء الشجاعة ، فها هو يقول في

قصيدته (ابن الشهيد) :

من عيني ابنك ، يا شهيد ، تسائلان ، بلا

جواب ،

عنك الاسرة والدروب ، وتسألان عن المصير ،

يصرح في قصيدته (الباب تقرعه الريح) التي

كتبها في لندن في ١٣ / ٣ / ١٩٦٣ ، وفيها

يقول :

هي روح امي هزها الحب العميق ،

حب الامومة فهي تبكي

"آه يا ولدي البعيد عن الديار!

ويلاه ! كيف تعود وحدك ، لا دليل ولا رفيق

"؟

أماه ... ليتك لم تغيبي خلف سور من حجار

لا باب فيه لكي ادق ولا نوافذ في الجدار!

كيف انطلقت على طريق لايعود السائرون

من ظلمه صفراء فيه كأنها غسق البحار؟

كيف انطلقت بلا وداع فالصغار يولولون ،

يتراكضون على الطريق ويفزعون فيرجعون

ويسائلون الليل عنك وهم لعودك في انتظار؟

الباب تقرعه الريح لعلّ روحاً منك زار

هذا الغريب!! هو ابنك السهران يحرقه الحنين

أماه ليتك ترجعين^(٢٧)

لقد ظل الشاعر طول حياته يحلم

بالطفولة والعودة الى الام ويجد في الماضي عزاء

عن الحاضر بل هو يزخر في الماضي لان في ذلك

التمويه تعويضاً عن قسوة الحاضر ، ونراه يحن

ويرغب بالعودة الى تلك الام التي فقدتها وهو

صغير ويريد العودة الى الطفولة ، الى

القرية^(٢٨) ، ولهذا يتساءل حائراً :

الفلسطينيين في قضيتهم ، وتشعر بما يجري عليهم ، وتشاركهم ثورتهم وجهادهم .
ومما امتاز به السياب عن نازك انه وظف (الرمز الأسطوري) ليجعل منه صورة للام فعشتار تمثل الوجه الآخر للام ، فهناك امرأتان (عشتار ، الأم) عشتار في ثباتها الأسطوري ومعرفتها لتجدد الحياة أوج لحظة الموت ، وألام التي ماتت ، فعشتار تضم موت الأم إلى حياتها ، أن موت الأم يصبح جزءاً من صدى الأمل الذي ينبعث من دورة الحياة^(٣٣) حيث يقول الشاعر :

عينك غابتان نخيل ساعة السحر ،
او شرفتان راح ينأى عنهما القمر
عينك حين تسمان تورق الكروم
وترقص الاضواء .. كالاقمار في نهر
يرجه المجذاف وهناً ساعة السحر
كأنما تنبض في غوريهما ، النجوم^(٣٤)

ويبدو ان ركون السياب الى الاسطورة لأنه ادرك ان العلاقة القائمة بين التضحية والاسطورة تكمن في دعوتها معاً الى ايجاد نظام يؤدي دوره في اقامة التوازن والانسجام فيما يبدو متناقضاً كذلك كان الشاعر بحاجة للرموز والاساطير لكي يوجد شكلاً متميزاً لأفكاره الخائرة^(٣٥) .

مذ البسته الام ثوبك في معارك ، الاثير
ويداه في الرنين ضائعتان ، والصدر الصغير
في صدرك الابوي عاصفة تغلف بالسحاب
ورنا الى المرأة
ابصر فيه شخصك في الثياب
- " ابني كان ابوك نبعاً من لهيب ، من حديد ،
سوراً من الدم والرعود ،
ورماه بالاجل العميل فخر - واهاً -
كالشهاب ،
لكن لمحا منه شع وفض اختام الحدود^(٣١) .

وهذا المعنى نجده ايضاً عند نازك في قصيدتها (أقوى من القبر) ، اذ تحاول من خلال ذلك رسم موقف قومي ، فإذا بنا نازك تجعل من امها رمزاً للثورة ومجاهدة الاعداء ، وتحس امها تدفع عنها ثرى القبر وتحيله عاصفة غاضبة ، حتى عظامها تصبح تكبيرة ، وقنابل تقاثل الاعداء :

في الثرى الاجنبي أحسك ترتعدين
تدفعين الردى في عناد وتنتصين
يستحيل ترابك عاصفة يصبح الياسمين
فوق قبرك لغماً يقاتل
وعظامك تصبح تكبيرة وقنابل^(٣٢)

لقد كان هذا شعوراً قومياً عالياً في نفس نازك ، اذ كانت امها - وهي شاعرة كذلك - ذات شعور قومي بحيث تناصر

المرأة التي يبحث عنها كبديل عن فقد الام :

ونراه يذكر صراحة عشتار الاسطورية

ليقارن بينها وبين صورة المرأة المثالية عنده

عشتار أم الخصب ، والحب ، والاحسان ، تلك الربة الواهة

لم تعط ما أعطيته لم ترو بالامطار ما رويت قلب الفقير

لم يعرف الحقد الذي يعرفون

والحسد الأكل حتى العيون^(٣٦)

الأم معادلاً موضوعياً للموت

كان موت أم الشاعر (السياب) وهو

طفل صغير عمق في ذاته مأساة الموت ، ودفعه

للالتهجاء الى صور الانبعاث لمجابهة هذا

الرعب الكبير ، اذ نرى في قصيدته التي كتبها

عام ١٩٤٨ (في القرية الظلماء) استيقاظ الموتى

المدفونون عند التل - حيث دفنت امه وكأنه

كانوا نياماً ، لكن يقظتهم هذه ليست انبعثاً :

هم يسمعون صوت وينظرون الى الهلال

ويعودون الى قبورهم في آخر الليل متسائلين

عن موعد الانبعاث ، وكأن هذه اليقظة ليست

حقيقة بل وهم وحلم ، لأنها لم تغتن بأبعاد

رمزية وظلت رغبة في عودة الام الميتة الى الحياة

كما كانت قبل ان تموت . وبها ان الشاعر يعرف

استحالة تحقيق هذه الرغبة في الواقع فقد سمح

لنفسه بتحقيقها في الحلم خارج نطاق الزمن ،

اما الساعة التي تفرع في المدينة فتذكر بالعودة

الى الواقع تعيد حركة الزمن ، فيكتشف الشاعر

ونحن نعلم أن عشتار في الاسطورة

هي الهة وربة الخصب ، الا ان الشاعر لتعلقه

بالأم حبذ أن يسميها (عشتار ام الخصب) وهو

يجعل من المرأة الام التي عاصرها ويقصدها

جعل منها تفوق في عطائها وطيب قلبها ، فهي

تروي قلب الفقير ولا تحقد او تحسد ، بل لا

تعرف الحقد والحسد ابدا .

ولو امعنا النظر في قصيدته انشودة

المطر نجد ان السياب يبدأ القصيدة بابتهالات

امام الطبيعة والهة الطبيعة ، حيث تقف عشتار

حبيته ، وامامها الشاعر يصلي وعشتار هي

الفصول في تحولاتها ، وهي الحياة والموت ،

وهي العناصر المختلفة : نجوم ، عسافير ،

شجر ، أنها حركتها المتجددة الدائمة ، ثم

تتحول الى الام ، الام التي ماتت عندما كان

الشاعر صغيراً ، الام الحقيقة التي لا تشبه

الاسطورة في شيء ، فهي تموت ، وتسكن

للحد ، وتسف من ترابها وتشرب المطر^(٣٧) .

المبحث الثالث

جوعان؟ أتأكل من زادي

خروب المقبرة الصادي؟

والماء ستنهله نهلا

من صدر الارض :

الا ترمي

اثوابك؟ والبس من كفني،

لم يبيل على مر الزمن

سأخذ دربي في الوهم

واسير فتلقاني أمي" (٤٠)

حيث نرى ان للشباب دلالة زمانية ،

فحين لقيته أمه طلبت اليه ان يرمي أثوابه

الفانية وان يلبس من اكفانها التي لا تبلى ونرى

ان " للام في هذه اللحظات صورة قد تكون

مرفأ الخلاص ، او تأكيداً لارتباطه وخلوده في

الحضارة التاريخية يحاول به أن يتخلص من

احساسه بوطأة العدم" (٤١) ، ونرى السياب في

قصيدته (نسيم من القبر) ، ياتيه نسيم من امه ،

ويهمس به ويعاتبه حيث يقول في قصيدته :

نسيم الليل كالآهات من جيكور ياتيني

فيكييني

بها نفثته امي فيه من وجد واشواق

تنفس قبرها المهجور عنها ، قبرها الباقي

على الايام يهمس بي : تراب في شراريني

ودود حيث كان دمي ، واعراقي (٤٢)

انه وحيد في غابات القرية (٣٨) حيث يقول

السياب في قصيدته : (في القرية الظلماء) :

القرية الظلماء خاوية المعابر والدروب .

تتجاوب الاصداء فيها مثل ايام الخريف

جوفاء .. في بطة تذوب ،

واستيقظ الموتى - هناك على التلال ، على

التلال

الريح تعول في الحقول . وينصتون الى الحفيف

يتطلعون الى الهلال

في آخر الليل الثقيل .. ويرجعون الى القبور

يتساءلون متى النشور !!

والآن تفرع في المدينة ساعة البرج الوحيد

لكني في القرية الظلماء .. في الغاب البعيد (٣٩)

ويلاه ! كيف تعود وحدك ، لا دليل ولا

رفيق؟"

وفي نهاية المطاف نجد ان الشاعر

السياب يستجيب لنداء امه ، فيسري من غرفته

في احد مستشفيات لندن ليلقاها في تلك المقرة

الثكلي حيث يقول السياب في قصيدته (في

الليل) :

ولبست ثيابي في الوهم

وسريت : ستلقاني أمي

في تلك المقبرة الثكلي

ستقول : (انتقحم الليلا من دون رفيق)

اقتراها من الموت ، فهي تصور لنا حالتها
عندما اريد قتلها :

(اماه) وحشرة ودموع وسواد

اونيجس الدم واختلج الجسم المطعون

والشعر المتموج عشمش فيه الطين

اماه ولم يسمعها الا الجلاد

وغداً سيجيء الفجر وتصحو الاء

والعشرون تنادي والامل والامل المفتون

ومما لا تخفى ملاحظته على من يطالع

ديوان السياب ان يجده ينادي امه في فترة مرضه

ويدعوها لتفشييه ويرى ان صوتها منفرد عن

جوقة الموتى من آبائه الاولين حث يقول في

قصيدته نداء الموت التي كتبها في بيروت :

وتدعو من القبر امي " بني احتضني فيرد الردى في عروقي

فدفع عظامي بما قد كسوت ذراعيك والصدر ، واحم الجراح

جراحي بقلبك او مقلتيك ولا تحرفن الخطى عن طريقي "

وباق هو الموت ، ابقى واخلد من كل ما في الحياة

فيا قبرها افتح ذراعيك

أني لآت بلا ضجة ، دون آه (٤٤) .

مرضه ان يذكر امه في قصائده حتى تخفف عليه

آلامه ، ودفعه الى ذلك فقدانه لها وهو صغير ،

وظل يتمه وحاجته اليها يعذبانه ، فهي الامل

له في فترة اشتداد مرضه عليه .

ونرى السياب في قصيدته (انشودة

المطر) يؤكد ثنائية " الحياة والموت " محاولاً

والسياب في بعض الاشعار ينادي أمه

ويستغيث بها ، عليها تعينه او تخفف عنه

المصائب والهموم والاسقام التي يرى انها

ستلقيه الى الموت :

أماه .. ليتك لم تغيبني خلف سور من حجار

لا باب فيه لكي ادق ولا نوافذ في الجدار

كيف انطلقت على طريق لا يعود السائرون

من ظلمة صفراء فيه كأنها غسق البحار (٤٣)

وهذا النداء اللام والاستغاثة بها

نجدها عند نازك الملائكة ، الا انها اجرتها على

لسان (الآخر) استغاثات اطلقتها فتاة اثناء

فهو ينادي أمه متشوقاً اليها ، وهارباً

اليها من ضنك العيش ومن المرض ، متمنياً

الموت لانه ذاهب الى امه فلا يخشى الموت ، بل

هو محب اليه لأن فيه لقاء أمه الحبيبة التي

فارقته منذ سنين بعيدة ، مذ كان طفلاً في

الرابعة من عمره ، وقد اختار السياب في فترة

ومن المواطن الاخرى التي نجد فيها نازك تجعل الام معادلاً موضوعياً للموت والقتل ما نجده في قصيدتها (أقوى من القبر) اذ ترى ان الموت الذي يتعرض له الفلسطينيون سيعقبه فجر الانتصار والحياة الجديدة ، فهي على هذا النحو ترى رؤية بدر حينها كان يرى ان موت امه ليس نهائياً ، اذ سوف تعود بعد البعث والولادة ، وبهذا نرى وجود تشابه في الرؤية في هذا المجال ويلحظ ان نازك تربط بين قضية خاصة وهي موت امها واخرى عامة وهي قضية الفلسطينيين الذين يقتلهم الصهاينة محاولين القضاء على سعيهم في استرجاع وطنهم السليب ، ولكن النصر- في نهاية المطاف سيكون حليف المقاتلين الذي يتذوقون الموت يومياً ، وهذا النصر تستحضره باستحضار امها ، فها هي تقول مخاطبة اياها:

كل يوم تموتين في القدس كل صباح
يقتلونك ، تنقل اخبار موتك سود الرياح
تسقطين شهيدة
ترقدين مخضبة بدماء العقيدة
تقعين بنابلس مشخنة بالجراح
وتهيمن ظمأى شريده
تسكنين جراح القصيدة
وعلى رجع شعرك بنهض كل قتيل.....
ويصير الظلام نهار مشاعل

الخلاص من فكرة العدم ، اذ انه على صلة بالاسطورة القائلة بخلق الانسان من تراب الارض وعودته اليها بعد الموت بانتظار البعث والولادة الجديدة ، فعادل بين الارض والمرأة الام وكأنه يرفض تصديق الموت نهاية الحياة^(٤٥).

ويبدو ان السياب يقن ان الموت صوتاً يرن في اذنيه ، كالزلال وروح امه هزها الحب العميق ، فراحت تسأل عنه الغرباء^(٤٦).
ويبدو ان السياب يقن ان الموت صوتاً يرن في اذنيه كالزلال وروح امه هزها الحب العميق ، فراحت تسأل عنه الغرباء^(٤٧).

[.....] آه يا ولدي البعيد عن الديار!

فتجيب المرجة والازهار

رحلت عنا غسلاً للعار^(٤٨)

فلا يخفى ان الاستغاثة بالام في لحظات الموت انها يمثل معادلاً موضوعياً للموت ، ورغبة ملحة في الحياة ، فبعد ان انقطعت سبل الفتاة من الامل في الحياة استغاثت بامها عسى ان يجديها ذلك نفعاً ، وهذا شعور موجود لدى الشاعرة سكبته على تصويرها لهذه الحادثة التي نسجتها من غياها لتحاكي بها الواقع المرير التي تسعى لانتقاده واصلاحه ، وذلك من خلال رسالتها (اشعارها).

آه أمي ، وخصب وضيء الجبين

عربي الجدائل

عربي الجدائل (٤٩)

ويبدو ان نازك هنا تبتعد قدر الامكان

عن الرومانسية - المعهودة عندها - ، فخيالها

الرومانسي يتضاءل او يتلاشى ويحل محله

الاسلوب الواقعي مع شيء من الرمزية

يكتسب خلالها التعبير او قلة الرؤية الشعرية
شفافية ووضوحاً ، وهذا الوضوح يبين لنا
كيف ان الشاعرة وظفت استحضار الام في
القصيدة لتجعل منها معادلاً موضوعياً للقتل
والموت ، وتمتد رؤيتها نحو النصر الذي نراه
قريباً .

الهوامش

- (١) المرأة في الأدب في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، رسالة دكتوراه ، واجدة الاطرقجي : ٩ .
- (٢) سورة الروم : الآية (٢١)
- (٣) سورة الاحقاف : الآية : ١٥
- (٤) ينظر : لسان العرب المحيط ، ابن منظور ، مادة (امم).
- (٥) المرأة في الشعر الجاهلي ، احمد محمد الحوفي ، دار الفكر العربي ، مطبعة المدني ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٦٢ : ص ٨٥ .
- (٦) نقد الشعر في المنظور النفسي ، د. ريكان ابراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩ : ٧٤ .
- (٧) ينظر : المرأة في المعلقات دراسة فنية مقارنة ، هناء شمس الدين (رسالة ماجستير) ، ٢٠٠٥ .
- (٨) الغزل في صدر الاسلام ، حسن جبار محمد ، (رسالة ماجستير) : ٣٤ ، ٧٦ ، ٧٨ .
- (٩) ديوان بدر شاكر السياب ، دار العودة ، بيروت ، د. ط ، ١٩٧٤ : ١ / ٦٧٣ .
- (١٠) بدر شاكر السياب - دراسة في حياته وشعره ، د. احسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - دار الفارس للنشر والتوزيع ، الطبعة السادسة ، عمان ، ١٩٩٢ : ٣٩٠ .
- (١١) ينظر : الديوان ، ٢ / ٢٠ . و : ١٠٢ / ٢ .
- (١٢) الديوان ، ١ / ٤٧٥ - ٤٧٦ .
- (١٣) علم نفس الطفل والمراهقة ، جمال الالوسي ، اميمة علي خان : ٩٧ .
- (١٤) ينظر : ديوان نازك ، دار العودة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١ : ١ / ٢١ وما بعدها .
- (١٥) الديوان : ٤٧٠ .
- (١٦) الديوان : ٢ / ٣٠٩ .
- (١٧) ينظر : بدر شاكر السياب حياته وشعره : ٢١ . و : المرأة في شعر السياب : ١٢ .
- (١٨) كما في قوله : " كان طفلاً بات يهذي قبل ان ينام
بأن أمه - التي افاق منذ عام فلم يجده ثم حين لجج في السؤال

- قالوا له: " بعد غد تعود .. " لابدان تعود " وقد سبق ذكر المقطع الشعري كاملاً .
- (١٩) للشاعر قصيدة تحت عنوان (جيكور امي) .
- (٢٠) حركية الابداع ، خالدة سعيد ، دار العودة ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٧٩ : ١٣٤ .
- (٢١) أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث ، رسالة ماجستير ، ريتا عوض ، ١٩٧٤ : ٨٣ .
- (٢٢) الديوان : ١ / ١٩٠ .
- (٢٣) ينظر المرأة في شعر الشياب : ٢٨ .
- (٢٤) ينظر : م.ن: نقلا عن : ملف مجلة الاذاعة والتلفزيون ، ماجد صالح السامرائي : ١٣ .
- (٢٥) الشياب ، عبد الجبار عباس ، دار الحرية للطباعة ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧٢ : ١٧ .
- (٢٦) ديوانه ، ٢ / ١٥١ .
- (٢٧) ديوانه ، ٢ / ١٥١ .
- (٢٨) اتجاه الشعر العربي المعاصر ، احسان عباس ، : ٨٩ .
- (٢٩) ديوان بدر شاكر السياب : ١ / ١٨٨ .
- (٣٠) ديوانيه : ١ / ٣١٨ .
- (٣١) ديوانه : ١ / ١٩٩ .
- (٣٢) للصلاة والثورة ، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٨ : ٦٥ .
- (٣٣) دراسات في نقد الشعر ، الياس خوري ، دار ابن رشد ، ط ٢ ، ١٩٨١ : ٣٤ .
- (٣٤) ديوانه ١ / ٤٧٤ .
- (٣٥) ينظر: التجربة الخلاقة ، برفسور: س.م. بورا ، ترجمة سلامة حجاوي ، دار الشؤون الثقافية بغداد ، ط ٢ ، ١٩٨٦ : ٣٩ .
- (٣٦) الديون : ١ / ٣٨٣ .
- (٣٧) ينظر : المرأة في شعر الشياب : ٣٨ .
- (٣٨) بدر شاكر السياب ، ريتا عوض ، مطبعة بغداد ، ط ٢ ، ١٩٨٧ : ٢٩ .
- (٣٩) ديوانه : ١ / ٩٤ .

(٤٠) الديوان : ١ / ٦٠٩ .

(٤١) السياب والصراع مع الزمن ، محمد اسماعيل الاسعد ، مجلة الاقلام ، العدد الخامس ، السنة الثانية ، بغداد ، ١٩٦٦ ، ٧٢ .

(٤٢) ديوانه : ١ / ٦٧٢ .

(٤٣) م.ن. / ١ / ٦١٦ .

(٤٤) ديوانه : ١ / ٢٣٦ .

(٤٥) ينظر : بدر شاكر السياب ، ريتا عوض : ٣٣ .

(٤٦) ديوانه : ١ / ٦١٦ .

(٤٧) ديوانه : ١ / ٦١٦ .

(٤٨) الاعمال الشعرية الكاملة ، نازك الملائكة ، المجلس الاعلى للثقافة ، ٢٠٠٢ . ٢ / ١٠٣ .

(٤٩) م.ن. / ٢ / ١٠٠ .

المصادر

• القرآن الكريم .

- ١ . اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، احسان عباس . مطبعة الكويت ، ١٩٧٨ .
- ٢ . اسطورة الموت والانبعث في الشعر العربي الحديث ، رسالة ماجستير ، ريتا عوض ، ١٩٧٤ .
- ٣ . الاعمال الشعرية الكاملة ، نازك الملائكة ، المجلس الاعلى للثقافة ، ٢٠٠٢ .
- ٤ . بدر شاكر السياب - دراسة في حياته وشعره ، د. احسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، الطبعة السادسة ، عمان ، ١٩٩٢ .
- ٥ . بدر شاكر السياب ، ريتا عوض ، مطبعة بغداد ، ٢ ط ، ١٩٨٧ .
- ٦ . التجربة الخلاقة ، برفسور: س م . بورا ، ترجمة سلامة حجاوي ، دار الشؤون القافية ، بغداد ط ٢ ، ١٩٨٦ .
- ٧ . حركية الابداع ، خالدة سعيد ، دار العودة ، الطبعة الاولى ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- ٨ . دراسات في نقد الشعر ، الياس خوري ، دار ابن رشد ، ط ٢ ، ١٩٨١ .
- ٩ . ديوان بدر شاكر السياب ، دار العودة ، بيروت ، د. ط ، ١٩٧٤ .

- ١٠ . ديوان نازك ، دار العودة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨١ .
- ١١ . السياب ، عبد الجبار عباس ، دار الحرية للطباعة ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧٢ .
- ١٢ . السياب والصراع من الزمن ، محمد اسماعيل الاسعد ، مجلة الاقلام ، العدد الخامس ، ، السنة الثانية ، بغداد ، ١٩٦٦ .
- ١٣ . علم نفس الطفل والمراهقة ، جمال الالوسي ، اميمة علي خان ، د.ت .
- ١٤ . الغزل في صدر الاسلام ، حسن جبار محمد ، (رسالة ماجستير).
- ١٥ . لسان العرب المحيط ، ابن منظور ، اعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي ، دار لسان العرب ، بيروت ، د.ت .
- ١٦ . المرأة في الادب في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، رسالة دكتوراه ، واجدة الاطرقجي .
- ١٧ . المرأة في الشعر الجاهلي ، احمد محمد الحوفي ، دار الفكر العربي ، مطبعة المدني ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٦٢ .
- ١٨ . المرأة في المعلقات دراسة فنية مقارنة ، هناء شمس الدين (رسالة ماجستير)، ٢٠٠٥ .
- ١٩ . المرأة في شعر السياب ، فرح غانم (رسالة ماجستير).
- ٢٠ . نقد الشعر في المنظور النفسي ، د. ريكان ابراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩ .